بجسم كثيف ذي حواس خمس ذوق وسمع وبصر وشمّ ولمس وحركة وشهوة فجذبني الى هواهُ وغلبني على اختياري أفتُعاقبني دونهُ واجعل اننا شريكان قد جنينا جناية او ضمنًا ضمانًا أفمن عدلك ان تطالب الواحد دون الاخر او تثنيهُ او تعاقبهُ. فمن هاهنا قلنا انهُ يجب لعدل البارئ تعالى ان تُنشر الاجسام (ولو لم تقل النفس ما تقدَّم ذكرهُ) لتأخذ كل نفس جسدها الخاص الذي معهُ وبهِ فعلت الجميل والقبيح ويكون الجزاء لجميعهما كما كان الفعل لكليهما. ويجب ايضًا ان تكون اجسام لطيفة لا كثيفة والَّا فاحتاجت الى طعام وشراب وكسوة وغير ذلك مما لا غنى لها عنهُ في عالم الكون والفساد بل انَّ القادر الذي لا يعزب عنهُ امر وان عظم ينقلها مع اعادتها من الكثيف الى اللطيف ويكون الصالح في لذَّة لا توصف ولا تدرك وافضلُ الامور واسناها قريب الى الله تعالى. واما الخاطئ فيكون في عذاب وعقاب من نار لا تطفأ ودود لا يموت وظلمة لا ضوء فيها واعظم من هذا البُعدُ من الله تعالى لانَّ الخاطئ لم يُخلق من الله خاطئًا ولا مجبورًا بل خيرًا مخيَّرًا فحاد باختيارهِ عن سبيل التقى وتهوَّر بارادتهِ في هواهُ الرديء ولذلك وجب عليهِ العقاب الذي ليس لهُ انتهاء كما وجب للصالح السالك الطريق المستقيمة بعدل البارئ النياح(١ الذي ليس لهُ انتهاء. ولله الاب والابن والروح القدس الاله الموحَّد الذات المثلَّث الصفات يليق المجد والعزّ والشكر والحمد الآن وكلّ اوان والى ابد الدهور (تمَّت الرسالة)

(تنبيه) ورد في اخر نسخة مكتبتنا الشرقيَّة ما نصُّهُ. «طلقهُ يده الفانية العبد الفقير سليمان صباغ من عروسة عكا الكاثوليكي مذهبًا الى اخيهِ (هنا بياض في الاصل) جرجي ابن شكر الله جروة الاكرم القاطن يومئذٍ في دير سيدة النجاة كرمي بطركيَّة السريان وكان الفراغ منهُ في ١٨ ايَّار سنة ١٧٩٠»

درس العربية في اوربَّة

في القرن السادس عشر

نبذة للاب هنري لامنس اليسوعي

نحن في ربيع سنة ١٥٣٠ هلمَّ بنا الى مدينة لوفان احدى حواضر بلجيكة. فاذا

١) النياح كلمة سريانية يراد بها راحة النفس

حالنا دروسها وجدنا عددًا لا يُحصى من الطلبة يتزاحمون في ازقتها وشوارعها وهم قد تقاطروا الى كليتها الشهيرة من كل اصقاع اوربة ليرضوا افاويق علومها ويستقوا من مناهل آدابها. اما اساتذتها فقد نالوا من السمعة الطيبة غايةً لا متجاوَزَ وراءها ومن المقام الرفيع ما ليس فوقهُ مرتقىً لهمّة

١

ولكن دَعْنا نُفرد بالنظر احد هؤلاء المعلّمين وهو كهلٌ في كمال السن يناهز الخامسة والثلاثين من عمرهِ تلوح على وجههِ لوائح الذكاء. فلندخلنَّ متصورةً اختصّها لنفسهِ ليتفرّغ فيها للدرس. ها هو جالس وعليهِ زيّ ارباب الدين في ذلك العصر. امامهُ كتاب ضخم تراهُ غائصًا في مطالعتهِ ومن وقت الى آخر يسطّر على حواشيهِ تعليقات وجداول وحروفًا غريبة الشكل لا شبه لها باللغات الاوربيّة

وان سألت عن اسم الرجل اجبناك بديهاً انهُ يُدعى نيقولا كليَنَرْد (١ استاذ اللغتين اليونانيّة والعبرانيّة في كليّة لوڤان. انكبَّ منذ نعومة اظفارهِ على درس هاتين اللغتين مع اللاتينيّة فأصاب في جميعها قصبة السبق حتى تقدّم على اترابهِ وتولى التدريس في عنفوان شبابهِ. ثمَّ صنّف في اصول هذه اللغات كُتبًا عوّل عليها العلماء فجعلوها وكتاً للتعليم في المدارس الكليّة وبقيت بعد مؤلفها نحو مئة سنة يُرجع اليها دون غيرها. وكان كليَنَرْد فضلًا عمَّا تقدّم دمث الاخلاق ليّن العريكة يجتمع اليهِ كلُّ من يعرفهُ. بيد ان اصحابهُ كانوا يلومونهُ في امر واحد يعدُّونهُ فيهِ كسرٌ في عقلهِ وما ذلك الّا رغبة مفرطة في تعلُّم اللغة العربيّة (٢

والحق يقال ان درس العربيّة لم يكن بين اهل اوربّة من الامور السهلة في القرن السادس عشر. وكان من حاول ذلك اشبه بمن يتصدّى اليوم لدرس لغة مجهولة لا تُعرف احرف هجائها كلغة الحثيين ولا نتردّد في ان نشبّههُ بشمپوليون اذ توخّى حلّ الرموز الهيروغليفيّة بعد ان اصاب كتابة « رشيد » المخطوطة بلغتين المصريّة واليونانيّة

١) كان اسمهُ الاصلي كليغرتس (Cleynarts) لكنَّهُ على مألوف عادة علماء زمانهِ كان جعل اسمهُ لاتينيًا فتسمّى كليغردوس (Clenardus) وبالفرنسيّة (Clénard)

٢) راجع كتاب المعلّم ڤكتور شوفين الذي عنوانهُ « Vie et travaux de N. Clénard » وسنعود الى ذكر هذا الكتاب في مقالتنا

أجل ان الاحبار الرومانيين كانوا قضوا منذ القرن الثالث عشر بان تُقام مدارس خصوصيَّة في كليَّات اوربَّة لتدريس اللغات الشرقيَّة لاسيما العربيَّة (١. غير ان هذه الاوامر لم يُنجزها اصحاب المدارس الَّا ردحةً من الدهر ثمَّ انتسخت فأُلغيت. ولمَّا كانت سنة ١٥١٩ استدعى ملك فرنسة فرنسيس الاوَّل من جنوة الاسقف العلامة بولس يُستنياني لتعليم اللغتين العبرانيَّة والعربيَّة في عاصمة مملكته لكن الاسقف المذكور لم يُقم في فرنسة الَّا سنتين ثمَّ عاد الى موطنه ولم يخلفهُ احد في مركزه

امَّا بقيَّة الدول الاوربيَّة فكان علم العربيَّة فيها مجهولًا في بدء القرن السادس عشر ولا نستثني من هذا الحكم بلاد اسبانيَّة نفسها فانهُ لم يبقَ فيها سوى آثار قليلة من لغةٍ كان علا منارها في عهد الخلافة الامويَّة نحوًا من سبعمائة سنة

وكان الاوربيون مع ذلك قد اودعوا خزائن كتبهم شيئًا من المخطوطات العربيَّة. وفي اوائل القرن السادس عشر ظهر في رومة اوَّل كتاب طُبع بهذه اللغة (راجع المشرق ٣: ٨٠). وفي سنة ١٥١٦ نُشر كتاب الزبور باربع لغات العبرانيَّة والعربيَّة والكلدانيَّة واليونانيَّة مع ترجمة لاتينيَّة. وهو الكتاب الذي كان المعلم كليمنْد يقلِّب صفحاتهِ ويحاول حلَّ معمَّياتهِ لا دليل يُرشدهُ ولا استاذ يهديهِ كما انهُ لم يحصل على كتاب يعينهُ في ادراك مقصودهِ كمعجم او غراماطيق بل لم يملكُ عارفًا باحرف الهجاء. ومع قلَّة هذه الوسائط داوم كليمنْد على عزمهِ اسابيع طويلة لم تأخذهُ في سبيل مسعاهُ لومة لائم ولم يثنهِ سأم ولا ملل

وكان كليمنْد يعرف انَّ بين العربيَّة والعبرانيَّة تشابهًا وان اللغتين ترجعان الى اصل واحد فاخذ العبرانيَّة كوسيلة لبلوغ غايتهِ. واوَّل ما استدلَّ عليهِ ان قراءة العربية من اليمين الى الشمال كالعبرانية. ثمَّ جعل يقابل بين حروف اللغتين لعلهُ يجد بينهما بعض الموافقة في الشكل ويستخلص بذلك حروف الهجاء العربيَّة. فاختار لهذه المقابلة المزمور ٨٢ الذي تعدَّدت فيهِ الاعلام رجاء ان يلقى هذه الاسماء في العربية على صورة لا تختلف

١) قد بيَّن المسيو شوفين في الكتاب الذي نوَّهنا بهِ (ص ١٣) اهمال الاحبار الرومانيين من المساعي المشكورة في ترويج اللغات الشرقيَّة. ساعدهم في ذلك الآباء الدومينيكيون. ولولا خوف الاطالة لاتممنا في بيان ذلك. ولعلَّنا نعود اليهِ مرة اخرى. اما اللغة السريانية فلم تنتشر في اوربَّة الَّا بعد الشروع في المقابلة المزمورة في أواخر القرن السادس عشر

عن العبرانيَّة فلم يزل يكدُّ ذهنهُ ويسهر جفنهُ حتى ميَّز اربعة احرف من الابجديَّة العربيَّة وهي الصاد والميم واللام والطاء.

فكان اكتشافهُ هذا وسيلة لمواصلة بحثهِ فجعل يدرس المزمور آيةً فآية ويقابل بين الفاظها الاولى والاخيرة في العبرانيَّة وأطراف الآيات نفسها في العربية فتوصَّل الى معرفة الحروف الهجائية الَّا بعضًا منها كالذال والضاد ممَّا لم يجد لهُ في العبرانية شبيهًا. فاجَّل البحث عن ذلك مؤمِّلًا ان يفكَّ أربتها في فرصة اخرى

ومن طرائقهِ لتعيين بعض الحروف انهُ كان يأخذ الفاظًا عبرانيَّة ثلاثيَّة كان يعرف حرفين منها في العربيَّة ويجهل الثالث فيقابل بين الفاظٍ من اللغتَين يقع فيها الحرف المجهول في بدء الكلمة وفي وسطها وآخرها ولا يكفُّ عن المقابلة حتى يتبيَّن الحرفَ المجهول. وعلى هذا المنوال استدلَّ على حرف السين في « سلام » و « لسان » و « نفس »

بيد انَّ معرفة كليزد لحروف الهجاء لم تكن لترضيهُ. بل شرع يبحث عن قواعد اللغة العربيَّة مستندًا الى العبرانيَّة فبلغ بهِ ذكاء فهمهِ الى اصطناع جدول للضمائر مع ما تيسَّر لهُ من تصريف الافعال

وممَّا كان يشوِّشهُ في درسهِ ويثبِّطهُ في ابحاثهِ الحركاتُ العربيَّة فلم يعرف باي حركة يُشكل الكلمات وكيف يضبطها. فتلافيًا لهذا الخلل اتخذ الضوابط العبرانيَّة كقاعدةٍ لضبط الألفاظ العربيَّة. وكثيرًا ما كان يكتفي بالنظر الى تركيب الكلمة ضاربًا الصفح عن حركاتها على مثال الاخرس الذي يدرك معنى الشيء بمجرَّد نظرهِ اليهِ ولو لم يعرف النطق بهِ

وبعد ان صار لكليزد بعض الإلمام بصرف العربية ونحوها باشر تصنيف معجم عربي للالفاظ التي وجدها في كتاب الزبور الالهي وابتدأ بالمزمور المئة والثامن عشر لتكرُّر الالفاظ عينها في هيئات متعدِّدة من الإعراب وهي واردة تارةً في المفرد واخرى في الجمع فعدا بهِ ذلك الى درس الجموع العربيَّة غير انهُ كاد يغرق فيها لكثرة ما وجد من الصيغ في الجموع المكسَّرة. ومع ذلك لم ينفك عن المثابرة في درس العربية بمزيد النشاط فاصبح هذا العمل يستغرق كل قواهُ ويلهيهِ عن كل شيء سواهُ وكان يقول عن نفسهِ انَّ العربيَّة استفزَّتهُ فعشقها عشق ذي الهيام (١. ولعمر الحق انَّ من اعتبر ما

(١) راجع مراسلات كليزد

استفرغهُ هذا الرجل العظيم من المجهود في سبيل مبتغاه اخذهُ العجب العجاب من شدَّة حزمهِ وقوَّة ارادتهِ وجعلهُ في مصفّ مشاهير الرجال الذين بلغوا بذكائهم الى الاكتشافات الجليلة كشمبوليون وغيرهِ بيد ان اشغال المعلّم البلجكيّ بقيت محصورةً في فناء دارهِ ولذلك لم ينل صاحبها من الشهرة ما نالهُ عالِمُ العاديات المصريَّة

٢

هذا ولم يجتزئ كلينرد بان اكتشف حروف الهجاء واطّلع على مبادئ اللغة وصنَّف معجم الفاظها بل اخذ يسعى في أن يجد لهُ معلّماً يزيل مشاكلهُ ويرشدهُ الى معرفة كلّ اصول العربيَّة وغوامضها. فسمع احد تلامذتهِ يقول ان كُلّيَّة مدينة سلمنكا من اعمال اسبانية تدرّس هذه اللغة. فلم يقرّ قرارٌ لكلينرد حتى استعفى عن منصبهِ في كلية لوفان ورحل الى اسبانية سنة ١٥٣١

فدخل سلمنكا ناشدًا ضالَّتهُ. لكنهُ عرف بعد البحث انَّ العربيَّة لم تُعلَّم في كلّيَّة هذه المدينة وانَّما يوجد في البلدة رجل اسمهُ نونيوس يعرف هذه اللغة. فاسرع الاستاذ البلجكي الى بيتهِ وعلم منهُ انهُ كان اخذ العربية عن فخَّار عربي الاصل من اشبيلية لكنهُ منذ امد مديد هجر درسها. ثم اشار الى زائرهِ ان يعرض عن عزمهِ لما في العربية من المبهمات والمصاعب. غير ان كلينرد لم يرضَ بقولهِ ولم يلحّ على نونيوس حتى اقنعهُ بان يتولى تدريسهُ. فاجّلهُ نونيوس الى اليوم التالي ليُعدَّ كتبهُ ودفاترهُ

فلمّا كان صباح يوم الغد بكّر كلينرد استاذَهُ الجديد وسمع منهُ اوّل امثولة عربيَّة حضرها بما لا يمكن وصفهُ من الرغبة (التتمّة للعدد التالي)

حبيس بحيرة قدس

للاب متري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

وفي ذات يوم بينما كان جوسلين يدور حول الاسوار متفقّدًا هجم عليهِ واحد من الخفر كان ساهرًا في قمة برج متنحٍ وطعنهُ بخنجرهِ طعنةً شديدة ولولا الدرع القويَّة